بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ترجمة الشيخ محمد رشيد رضا

(١٨٦٥ – ١٩٣٥)

لم يكتب الشيخ محمد رشيد رضا ترجمة ذاتية لنفسه ، باستثناء نبذ مقتضبة وردت في كتابه **المنار والأزهر** الذي أصدره عام ١٣٥٣ هـ ، على ان المصدر الأول الذى ينبغى الرجوع اليه لكتابة ترجمة الشيخ ومعرفة أحواله ، هو مجلة المنار . ففي ثنايا ما كتبه الشيخ فيه نجد مواد كثيرة يمكن جمع ترجمة ذاتية مفصلة عنه .

ومن مقالات المنار ، التي كتبها الشيخ ، والتي تضيء جوانب من حياته نخصّ بالذكر :

١ – « سياحة صاحب المنار في سوريا » .
(المنار ج ١١ (١٩٠٨) ص ٧٠٦ – ٧١٦ : و ص ٨٧٤ – ٨٧٩ : وص ٩٣٦ – ٩٥٣ : وج ١٢ (١٩٠٩) ص ١٥٠ – ١٥٩) .

٢ – « رحلة صاحب المنار الى القسطنطينية » .
المنار ج ١٢ (١٩٠٩) ص ٩٥٦ – ٩٥٩ : وج ١٣ (١٩١٠) ص ١٤٥ – ١٥٠ : وص ٣١٤ – ٣١٦ : وص ٧٤٨ – ٧٥٢) .

٣ – « رحلتنا الهندية العربية » .
(المنار ج ١٦ (١٩١٣) ص ٣٩٦ – ٣٩٩).

٤ — « رحلة الحجاز » .

(المنار ج ١٩ (١٩١٦) ص ٣٠٧ — ٣١٠ : وص ٤٦٦ — ٤٨٢ : وص ٥٦٣ — ٥٧٤ : وج ٢٠ (١٩١٧) ص ١٠٨—١٢٦ : وص ١٥٠ — ١٥٩ : وص ١٩٢ — ١٩٩ : وص ٢٣٦ — ٢٤٦ : وص ٢٧٦—٢٨٨ : وص ٣١٦ — ٣٢٨ : وص ٣٥٢ — ٣٦٣) .

٥ — « الرحلة السورية الثانية » .

(المنار ج ٢١ (١٩٢٠) ص ٣٧٧ — ٣٨٢ : وص ٤٢٨ — ٤٣٣ : وص ٤٩٨ — ٥٠٤ : وج ٢٢ (١٩٢١) ص ١٥٥ — ١٦٠ : وص ٣٩٠ — ٣٩٧ : وص ٦١٧ — ٦٢٣ : وص ٧٦٨ — ٧٨٥ : وج ٢٣ (١٩٢٢) ص ١٤١ — ١٤٧ : وص ٢٣٥ — ٢٤٠ : وص ٣١٣ — ٣١٧ : وص ٣٩٠ — ٣٩٦) .

٦ — « الرحلة الأوربية » .

(المنار ج ٢٣ (١٩٢٢) ص ١١٤ — ١١٩ : وص ٣٠٦ — ٣١٣ : وص ٣٨٣ — ٣٩٠ : وص ٤٤١ — ٤٤٨ : وص ٥٥٣ — ٥٦٠ : وص ٦٣٥ — ٦٤٠) .

يأتي بعد ذلك ما كتبه عنه معاصروه الذين عرفوه . نخصُّ منهم :

١ — المغربي ، عبد القادر : « كيف ارتاد الشيخ رشيد مصر » .

(الرسالة ج ٣ (١٩٣٥) ص١٤٥٢ — ١٤٥٦) .

المغربي ، عبد القادر : **جمال الدين الأفغاني** . القاهرة ١٩٤٨ .

(وردت فيه إشارات كثيرة عن الشيخ رضا).

وقيمة ما كتبه الشيخ المغربي تأتي من أنه كان تِرْباً له في أيام فتوته وشبابه ، ورفيقه في الطلب والتعلم . وقد بقيت صلاته به الى وفاته .

٢ — ارسلان ، شكيب : **السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة** .

(دمشق ، مطبعة ابن زيدون ، ١٩٣٧) .

٣ — العقّاد ، عباس محمود : « عالم فذّ لا يُعنى بالمعارف العصرية » .

(المصوّر — المصرية — عدد ١٢٧٦ ، حزيران ١٩٤٩) .

٤ – اليازجي ، ابراهيم : « نحن والمنار » .
(مجلة الضياء ، ج ٥ (١٩٠٣) ص ٥٦٥ – ٥٦٧) .

٥ – مجلة الهلال : « مجلة المنار » .
(الهلال ج ٦ (١٨٩٨) ص ٥٩٠ : وج ٧ (١٨٩٩) ص ٣١٩ : وج ١٠ (١٩٠٢) ص ٤٨٢ : وج ١٦ (١٩٠٧) ص ١٨٩) .

٦ – مجلة المقتطف : « الاحتفال بالمنار » .
(المقتطف ج ٣٣ (١٩٠٨) ص ٧٩ – ٨٠) .

٧ – البيطار ، محمد بهجة : المصاب بوفاة السيد الإمام محمد رشيد رضا منشىء المنار .
(مجلة المجمع العلمي العربي ج ١٥ (١٩٣٥) ص ٣٦٥ – ٣٧٤ : وص ٤٧٤ – ٤٨٠ .

٨ – أمين ، عبدالله : « السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار والاستاذ عباس محمود العقاد » .
(المقتطف ج ١١٥ (١٩٤٩) ص ١٨٥ – ١٩٣) .

٩ – أبو ريّه ، محمود : « السيد رشيد رضا ، بمناسبة الذكرى التاسعة لوفاته » .
(الرسالة ج ١٢ (١٩٤٤) ص ٧٤٧ – ٧٤٩) .

١٠ – عيسى ، عبد الجليل : « محمد رشيد رضا » .
(الرسالة ج ١٨ (١٩٥٠) ص ١٠٧٩ – ١٠٨٢) .

١١ – مبارك ، زكي : « الحديث ذو شجون » .
(الرسالة ج ١١ (١٩٤٣) ص ٦٠٤ – ٦٠٥) .

١٢ – محيسن ، حامد : « محمد رشيد رضا » .
(الرسالة ج ١٨ (١٩٥٠) ص ١١٤٢ – ١١٤٤) .

وقد صدرت بعض الدراسات أو الترجمات عنه ، نذكر منها :

١ – الصعيدي ، عبد المتعال : المجدّدون في الاسلام .
(القاهرة ، مكتبة الآداب ، بدون تاريخ ، ص ٥٣٩ – ٥٤٤) .

٢ – العدوي ، ابراهيم : **رشيد رضا الامام المجاهد** .
(القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٤) .

وذكرته أيضاً معاجم الأعلام والمؤلفين ، نذكر منها :

١ – سركيس ، يوسف اليان : **معجم المطبوعات العربية والمعرّبة** .
(القاهرة ١٩٢٨ ، عمود ٩٣٥ – ٩٣٦) .

٢ – الزركلي ، خير الدين : **الأعلام** .
(الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٤ . ج ٦ ص ٣٦١ – ٣٦٢) .

٣ – كحالة ، عمر رضا : **معجم المؤلفين** .
(دمشق ١٩٥٧ ، ج ٩ ص ٣١٠ – ٣١٢) .

أما المصادر الأجنبية التي تكلّمَت عليه ، فنذكر منها :

LAOUST. H. *Le Reformisme musulman dans la littérature arabe contemporaine*. Oriens, Vol. 10 (1959) pp. 81 — 107.

LAOUST. H. *Le Califat dans la doctrine de Rashid Rida*. Damas, 1938.

ADAMS. C. C. *Islam and Modernism in Egypt*. London, 1933.

وقد نقل إلى العربية باسم « الإسلام والتجديد في مصر » ١٩٣٥ .

GIBB. H. A. R. *Modern Trends in Islam*. Chicago, 1947.

وقد نقل الى العربية باسم « الاتجاهات الحديثة في الإسلام » بيروت ١٩٦١.

HOURANI ALBERT. *Arabic Thought in the Liberal Age*. London, Oxford University Press, 1962. pp. 222—244.

JOMIER. J. *Le Commentaire Coranique du Manar*. Paris, 1954.

KERR. M. *Muhammad Abduh and Rashid Rida*. ph. D. Thesis, School of Advanced International Studies, Johns Hopkins University. Washington, 1958.

KERR. M. *Rashid Rida and Islamic Legal Reform*. (Muslim World. Vol. 1 (1960) pp. 99—108 : 170—81).

ترجمة الشيخ محمد رشيد رضا

نشأتـــه :

ولد محمد رشيد رضا يوم الأربعاء ، السابع والعشرون من شهر جمادي الاولى سنة ١٢٨٢ هـ الموافق الثامن عشر من شهر تشرين الاول سنة ١٨٦٥ م ، في قرية القلمون الواقعة على شاطىء البحر على بعد زهاء خمسة كيلومترات الى الجنوب من طرابلس الشام ، حيث نشأ وترعرع . يحدثنا عن طفولته في كتاب المنـــار والأزهر بأسلوب بسيط ، لا تعقيد فيه ولا إبهـــام ، مشوق يجتذب القارىء ويسترعي انتباهه ، فيرسم لنا صورة حية لطفل صغير شديد الحياء يأنف اللعب مع أترابه ، ويصون لسانه عن الجون ولا يسمح لأحد أي كان أن يتلفظ أمامه بكلام بذيء . ويعود بعد ذلك فيعلل حسنات هذه الخصال وسيئاتها ويستخلص منها العبر وذلك لإتمام الإطار الخارجي لهذه الصورة التي رسمها لنا بكلماته السلسة .

لقد كان منذ صغره قليل الرغبة في اللعب مع أقرانه في القرية وفي المدرسة ، الشيء الذي جعله ينصرف عن مشاركتهم السباحة ، التي لم يتقنها بالرغم من كون دارهم على شاطىء البحر . ويستخلص من ذلك بأن حياءه هذا أفاده من ناحية الأدب وصون اللسان ، ويعلل لنا كثرة نسيانه لأسماء الناس بأنه عائد الى عـدم الاهتمام بالتعرف عليهم ، ويعزو ذلك الى حب العزلة الذي أضره . فيذكر أنه عاش عدة سنين بين جماعة من طلاب العـــلم في إحدى المدارس ولم يحفظ أسماءهم جميعاً . وخشية ان يترك في الأذهان فكرة سيئة عن مقدرته العقلية يعود فيستدرك ويخبرنا بأنـه كان سريع الفهم يتألم ويتضجر من إعادة الاساتذة لشرح المواضيع التي كانوا قد أوضحوها قبلاً ، وبأنه كان سريـع الاستيعاب لكل ما يسمع ويقرأ ، مع ضعف استعداده لحفظ الجزئيات كالأعلام والأرقام والحوادث ، حتى إنه نادراً ما كان يستطيع أن يحفظ أكثر من بيت واحد من الشعر لمجرد سماعه مرة واحدة . ويستطرد قائلاً بأن الذي زاده

ضعفاً على ضعفه هو قلة اكتراثه بمعرفـــة الناس وكل ما يعتقد بأن ليس له فيه فائدة علمية أو أدبية[1] .

تحصيله العلم :

تلقى قواعد الحساب والخط والقراءة بما فيها قراءة القرآن الكريم في مدرسة قريته القلمون ، ثم التحق بمدرسة ابتدائية تابعة للدولة في مدينة طرابلس ولكنه سرعان ما غادرها لأنه ، على ما يظهر ، لم يشأ أن يخدم الدولة ولأن جميع الدروس فيها كانت باللغة التركية . لذلك التحق بالسنة التالية بالمدرسة « الوطنية الاسلامية » التي أسّسها الشيخ حسين الجسر ، وكان من المشهورين بالعلم والفضل ، الموصوفين بالزهد وأصالة الرأي[2] . وكان مستوى التعليم في هذه المدرسة أرقى منه من المدرسة الأولى ، بالإضافة الى ان التعليم في الثانية كان يجري باللغة العربية يضاف الى ذلك تعليم كل من اللغتين التركية والفرنسية . وهكذا تلقّى العلم « على الطريقة التي كان يتلقى العلم بها الشيوخ والعلماء »[3] ، ولم يهتم كثيراً باللغتين التركية والفرنسية بالرغم من حفظه كل ما فُرض عليه من دروسها ، ثم ندم على عدم اتقانه اللغة الفرنسية بعد ان أدرك ان لها فوائد جمة في خدمة الاسلام[4] .

كان أثناء تحصيله العلم مولعاً بمطالعة كتب العلم والأدب ، وبصورة خاصة كتاب إحياء علوم الدين لحجة الاسلام أبي حامد الغزالي ، الذي أثّر فيه تأثيراً عظيماً حتى أنه كان يكثر من مراجعته ويقرأه للناس . فقد ذكر انه بإرشاد

---

(١) المنار والازهر ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .
(٢) انظر مجلة المقتطف ج ٨ (١٨٨٤) ص ٤٩٥ .
(٣) المنار ج ٢٨ (١٩٢٧) ص ٦٥ .
(٤) المنار والأزهر ، ص ١٣٨ .

الغزالي كان له « طريقة خاصة في الطلب [طلب العلم] مقرونة بالنية الصالحة . كان من أثرها ما عبر عنه شيخنا الشيخ حسين الجسر بقوله في ملأ من الناس بدار علي أفندي السمين بطرابلس الشام : « إن فلاناً [محمد رشيد رضا] ساوى في سنة واحدة من سبق لهم الاشتغال عليّ سبع سنين من أذكياء الطلاب » . والفضل في هذا بعد عناية الله وهدايته لأبي حامد الغزالي جزاه الله خير الجزاء »[1] . ويذكر أيضاً ان كتاب **إحياء علوم الدين** كان استاذه الاوّل الذي حبّب اليه العلم والتصوف[2] . ولكي تكون الصورة التي رسمها لنا كاملة عن تحصيله العلم ، والكتب التي تأثر بها لا بد من الاشارة الى انه كان يحث ، في مجلة المنار ، على مطالعة كتاب **الأغاني** لأبي الفرج الاصفهاني ، وكتاب **نهج البلاغة** للامام علي بن أبي طالب ، والجزء الثالث من كتاب **إحياء علوم الدين** ان لم يطالع الكتاب كله ، حتى انه اختلف مع استاذه الشيخ حسين الجسر عندما اقترح محمد رشيد رضا على الشيخ الجسر استبدال كتاب **المقامات** للحريري ، المقرر للدراسة في «المدرسة الوطنية الاسلامية» بهذه الكتب الثلاثة ، فلم يوافق الاستاذ على ذلك[3] . وهذا يدلنا على ما كان لهذه الكتب الثلاثة من منزلة في نفسه .

بالإضافة الى هذه الكتب التي كان يطالعها اثناء تحصيله العلم تأثر الشيخ محمد رشيد رضا بمجلة **العروة الوثقى** التي كان يدير سياستها السيد جمال الدين الأفغاني ويحرّرها الشيخ محمد عبده . يذكر محمد رشيد رضا انه اتفق له ان كان يقلّب في أوراق والده ، فرأى عددين من أعداد مجلة **العروة الوثقى** التي صدرت في باريس سنة ١٨٨٤ ، فقرأهما برغبة ولذة فائقتين ، وفعلتا في نفسه فعل السحر . فبحث عن الأعداد الباقية فوجدها في مكتبة استاذه الشيخ حسين الجسر ،

---

(١) المنار ج ١٠ (١٩٠٧) ص ٩٥ .
(٢) المنار ج ١١ (١٩٠٨) ص ٥١٣ .
(٣) المنار ج ٤ (١٩٠١) ص ٦٦ .

فاستنسخها وقرأها، ثم أعاد قراءتها[1]، ويقول الشيخ رضا أنه بعد قراءة العروة الوثقى انتقل « الى طريق جديد في فهم الدين الاسلامي وهو أنه ليس روحانياً أخروياً فقط بل هو دين روحاني جسماني ، أخروي دنيوي ، من مقاصده هداية الانسان الى السيادة في الأرض بالحق ليكون خليفة الله في تقدير المحبة والعدل»[2]. أما فيما يتعلق بالنواحي العقلية والعلمية والأمور الاجتماعية والصحية فيعترف لنا صاحب الترجمة بأنه استفاد من مجلة « المقتطف » العلمية . يقول : « نعم أنا اعترف للمقتطف بالسبق والتبريز في العلم ، وأزيد على ذلك الاعتراف بأنني قد استفدت من المقتطف في أول عهدي بطلب العلم ولا أزال استفيد منه . إنني لما دخلت المدرسة الوطنية في طرابلس الشام وذلك أول عهدي بطلب العلم رأيت استاذنا الشهير الشيخ حسيناً الجسر مشتركاً في المقتطف ، ومواظباً على قراءته ، فكانت تلك أول معرفتي بالمقتطف ، وصرت استعيره بعد ذلك وأقرأه ، فاستفدت من مباحثه فوائد عقلية وصحية واجتماعية ولا أزال اعتمد على ما يكتبه في معرفة أطوار التجدد العلمي المصري »[3] .

هجرته الى مصر وإصداره المنار :

عندما أجيز بالتدريس سنة ١٨٩٦ ونال شهادة «العالمية» التي تمنحها «المدرسة

---

(١) يقول الشيخ عبد القادر المغربي في كتابه عن جمال الدين الافغاني أنه هو الذي حمل الى الشيخ رشيد رضا خبر العروة الوثقى قال : « رجعت الى طرابلس من المدرسة السلطانية عام ١٣٠١ هـ حاملاً الى صديقي الشيخ رشيد رضا صاحب المنار خبر العروة الوثقى ومنشئها ، وأخذت أبحث معه عن أعدادها ، وكانت ثمانية عشر عدداً ، مبعثرة لدى بعض فضلاء طرابلس الذين كانت تأتيهم عفواً ، او بطلب منهم ، فجعلتُ التقطها من عندهم لأنسخها وأعيدها اليهم . وكان شريكي في هذا الحرص الشيخ رشيد ، وكان هو ينسخ المهم من مقالاتها ، أما أنا فكنت أنسخها بقلمي من ألفها الى يائها » ص ١٤ . (سلسلة اقرأ ، رقم ٦٨ ، القاهرة ١٩٤٨)

(٢) محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الإمام، القاهرة، مطبعة المنار، ١٩٣١ . ج ١ ص ٨٤.

(٣) المنار ج ١٩ (١٩١٦) ص ١١٢ .

الوطنية الإسلامية » . وعزم على الرحيل الى مصر للاتصال بالشيخ محمد عبده ، بعد أن فقد أمـــل الاتصال بالسيد جمال الدين الأفغاني ، والوقوف على رأيه ونتائج اختباراته حول الاصلاح الاسلامي . فسافر الى أرض الكنانة ، وكان وصوله الى ميناء الاسكندرية مساء الجمعة ، ٣ كانون الثاني سنة ١٨٩٨ ، ووصل إلى القاهرة يوم السبت ١٨ كانون الثاني . وفي ضحوة اليوم التالي ، ذهب الى دار الشيخ محمد عبده في « الناصرية» لزيارته ، فصارحه القول عن الغرض من هجرته ، وأخذ يتردد على داره فيقابله الشيخ محمد عبده كما يقابل بعض خواص خلانه[1]. وتمكنت أواصر الصداقة بينهما ، فاستشاره في اختيار اسم للمجلة التي عزم على إصدارها وقدم له عدة أسماء فوقع اختيار الشيخ محمد عبده على اسم «المنار»[2].

المنار والاصلاح الاسلامي :

أنشيء المنار في مدينة القاهرة سنة ١٨٩٨ وصدر العدد الأول منه في الثاني والعشرين من شهر شوال سنة ١٣١٥ هـ « ساطعاً بأنوار غريبة مرغوبة ، إلا أنها مؤلفة من أشعة قـوية كادت تذهب بالأبصار »[3] . وكانت أول سنته غرة ذي القعدة ثم صارت أول محرم ، وأصبحت السنة الهجرية هي سنة المنار الحسابية منذ سنته الخامسة أي سنة ١٣٢٠ هـ [١٩٠٢] »[4] . وفي سنته الثانية وضع له شعاراً هو الحديث الشريف : « إن للاسلام صُوىً ومناراً كمنار الطريق » وصار يظهر هذا الشعار على كل عدد يصدر منه . و « الصوّة » حجر يكون علامة في الطريق يهتدي بها المارة ، و « المنار » العَلَمُ الذي يوضع بين الشيئين من الحدود . وقد ذكر سبب تسميته مجلته بالمنار فقال : « اننا قد اقتبسنا اسم

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام ، ج ١ ص ٩٩٨ .
(٢) نفس المصدر ، ج ١ ص ١٠٠٥ .
(٣) رسالة الشيخ حسين الجسر الى صاحب المنار . المنار ج ١٢ (١٩٠٩) ص ٦٨٦ .
(٤) المنار ج ١٠ (١٩٠٧) ص ٧١٥ .

المنار من الحديث الشريف تفاؤلاً بأن يكون مبيناً لصُوى الإسلام وناصباً لأعلامه ، وموضحاً لنور الحقيقة التي نحتاج اليها في حياتنا الملية والاجتماعية والله الموفق المعين »[1] .

لقد هدف الشيخ محمد رشيد رضا من وراء إنشاء مجلة « المنار » أن ترشد المسلمين « الى النظر في سوء حالهم وتنذرهم الى الخطر المهدد لهم في استقبالهم وتذكرهم بما فقدوا من سيادة الدنيا وهداية الدين »[2]. وكانت طريقته للوصول الى هذه الغاية هي الجمع بين مصالح الدنيا وهداية الدين. وهي الطريقة الاصلاحية التي ، على حد قول صاحب المنار ، « دعانا اليها حكيماً الاسلام جمال الدين والشيخ محمد عبده وهي التي يدعو اليها المنار ويناضل عنها »[3]. وفي السنة الثانية قدم المجلة بقوله : « وها كم هذه المجلة التهذيبية ، الخادمة لجامعتكم الملية والوطنية ، تنتقي لكم ما أمس بمصلحتكم ، وأقرب إن شاء الله تعالى لمنفعتكم ، وأدعى — بفضل الله تعالى — الى نهضتكم ، وارجأ — بتوفيق الله عز وجل — لجمع كلمتكم »[4] . وكان صاحب المنار يكتفي في أكثر المسائل التي يعالجها أن يعرضها بطريقة خطابية . ويدلنا على أنه أخذ هذا الاسلوب الاجمالي والزواجر المنبهة التي كانت ترد في أكثر المقالات الافتتاحية من القرآن الكريم : « وقد اقتبسنا أسلوب الاجمال قبل التفصيل وقرع الأذهان بالخطابيات الصادعة من القرآن الكريم ، فأكثر السور المكية لاسيما المنزلة في أوائل البعثة قوارع تفح الجنان وتصدع الوجدان »[5] .

قاوم الشيخ محمد رشيد رضا على صفحات « المنار » البدع والخرافات

---

(١) المنار ج ١٠ (١٩٠٧) ص ٦٢٣ - ٦٢٤ .
(٢) المنار ج ١٢ (١٩٠٩) ص ٦٩١ .
(٣) المنار ج ١١ (١٩٠٨) ص ٧٤٢ .
(٤) المنار ج ٢ (١٨٩٩) ص ٢ - ٣ .
(٥) المنار ج ١٢ (١٩٠٩) ص ٦٩٠ .

والعقائد الزائفة بكل ما أوتي من قوة ، وشدّد على ضرورة التعليم والتربية حتى أنه ذكر أنّ إنشاء المدارس أفضل من إنشاء المساجد وفصّل هذا بقوله : من حيث ان المصلي في المسجد إذا كان جاهلاً تكون عبادته فاسدة ، وذلك ذنبٌ يستحق العقاب . وفي المدارس يُزاح الجهل وتصح أعمال الدنيا »[1] . لقد وافقت مجلة « المنار » جريدة « العروة الوثقى » في تعاليمها التي وضعتها للوحدة الاسلامية ، وكانت امتداداً لها ، إلا في المسألة المصرية والتحريض على الانكليز ، يقول صاحب الترجمة : « وفقنا الله تعالى في العام الماضي لإنشاء المنار ، لإحياء تعاليم « العروة الوثقى » فوضعنا قاعدة على أساسها وأضأنا قمته بنبراسها ، إلا ما كان فيها من السياسة التي تتعلق بالمسئلة المصرية والتحريض على الانكليز ، فإن هذا الأمر ذهب بذهاب وقته . . . ولا ريب أن المسألة المصرية ليست في هذا العام كما كانت سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٤ م) ، أما المسألة الاسلامية فهي هي بل تقدمت الى الأمام بالنسبة الى ما كانت عليه في ذلك العام »[2] . ثم يعود فيذكر أنه بيّن في العدد الاول من المنار الغرض من إنشائه ومذهبه في الاصلاح الديني والاجتماعي والأدبي ، وسكت عن بيان منهاجه في الاصلاح السياسي مع التصريح بنزعته العثمانية وخدمته للدولة العلية : « وانما أسكتني عن ذلك الاستاذ الإمام (الشيخ محمد عبده) وقد كنت استشرته في إنشائه وقرأت له تلك الفاتحة قبل طبعها ، وكان فيها ان مقاصده بيان حقوق الأمة على الإمام وحقوق الإمام على الأمة ، فاستحسن كل ما أودعتُه تلك الفاتحة إلا هذه الكلمة ، فاقترح عليّ أن أحذفها ولم يراجعني في شيء غيرها »[3] . ويظهر من أقوال صاحب الترجمة بأنه كان يعمل سراً على تقويض حكم السلطان عبد الحميد الاستبدادي ، وبأنه كان يسعى أيضاً الى الانقلاب العثماني[3] . ويخبرنا عن اشتراكه في تأسيس جمعية سرية لتحقيق هذا

---

(١) المنار ج ٦ (١٩٠٣) ص ١٥٢ .
(٢) المنار ج ٢ (١٨٩٩) ص ٣٤٠ .
(٣) المنار ج ١٢ (١٩٠٩) ص ٢ .

الغرض ، حيث يقول : « فأسسنا جمعية « الشورى العثمانيـة » لأجل جمع كلمة العثمانيين على استبدال حكومة الشورى العثمانية بحكومة المستبدين ، لعلمنا ان جمعية « الاتحاد والترقي » هي خاصة بالمسلمين . ويحدثنا بأن نشاط هـذه الجمعية من أجل هذه الغاية لم يكن مقصوراً على مصر وحدها ، التي كانت آنئذ موئلاً للأحرار وملاذاً لهم ، بل تعداها الى قلب الآستانة ومناطق أخرى حيث كانت ترسل مناشيرها، فيقول : « ولولا اننا أنشأنا جمعية سياسية سرية لمجاهدة استبداد عبد الحميد وجعلنا لها جريدة خاصة سميناها باسمها «الشورى العثمانية» وكنا نعزّز الجريدة بمنشورات سرية يوزعها عمال مخصوصون في الآستانة والروملي والأناضول بنفقة من الجمعية ، لما رضينا بذلك التنديد الاجمالي في المنار .. ومن كان في شك من مجاهدتنا لعبد الحميد في عهد استبداده بأشد مما كتبناه في المنار بعد خلعه ، فليطلب منا بعض أعداد جمعيتنا »[1] . وكانت هذه الجمعية تطالب السلطان عبد الحميد بإعادة « مجلس المبعوثان » وإشراك الأمة في الحكم .

معهد الدعوة والارشاد :

مكث الشيخ محمد رشيد رضـا بعد هجرته الى مصر احدى عشرة سنة في القاهرة ، لم يغادر مصر قط . فكان الانقلاب العثماني ، الذي جرى سنة ١٩٠٨ ، نقطة تحول في مجرى حياته ، حتى انه رحل الى الأقطار الاسلامية في السنوات العشر التالية للانقلاب خمس مرات أقصرها الرحلة الحجازية بعد إعلان « الثورة العربية الكبرى » سنة ١٩١٦ ، وأطولها مدة رحلة الآستانة التي قام بهـا في السنة الثانية للانقلاب العثماني . لقد أدرك صاحب « المنار » بثاقب نظره ، بعد اختبـار دام عشر سنوات عاملاً في حقل الصحافة ، بأن مجرد إصدار مجلة إسلامية لن يؤدي إلى الغاية المرجوة في الوحدة والاستقلال ، وبأنها ليست كافية لاستنهاض الهمم والحث على النهوض واليقظة ، ولذلك أخـذ يتطلع الى أفق أكثر شمولاً وأكثر منفعة . فتولدت عنده فكرة إنشاء مدرسة للدعوة والإرشاد

---

(١) المنار ج ١٢ (١٩٠٩) ص ٧٠٦ .

لإعداد مرشدين مؤهّلين لتحقيق هذه الغاية . ويخبرنا بأن هذه الفكرة كانت تراوده منذ الصغر تشبّهاً بالمرسلين الأميركان ، فيقول : « وكنت في أيام طلبي للعلم في طرابلس الشام أتردّد بعد الخروج من المدرسة الى مكتبة المبشرين الأميركانيين اقرأ جريدتهم الدينية وبغض كتبهم ورسائلهم ، وأجادل قسوسهم ومعلميهم ، وأتمنى لو كان للمسلمين جمعية كجمعيتهم ومدارس كمدارسهم »[1] . اختمرت هذه الفكرة في رأسه ورسخت رسوخاً عميقاً ، حتى ان جميع الوعود العرقوبية التي مناه بها رجال جمعية « الاتحاد والترقي » الحاكمة آنئذ في الاستانة ، وجميع الصعوبات والعراقيل التي واجهها لم تستطع زعزعة إيمانه بصحتها وضرورة انشائها .

رحل الشيخ محمد رشيد رضا الى الآستانة عاصمة الدولة العلية للسعي في أمرين خطيرين : إنشاء معهد علمي إسلامي ، وحسن التفاهم بين العنصرين الأكبرين – العرب والترك . ويفسر الغاية البعيدة من هذين الأمرين بقوله : « أحدهما [إنشاء معهد إسلامي] وهو أجلّهما خدمة الدين الإسلامي ولجميع المسلمين . وثانيهما [الوفاق بين الأتراك والعرب] خدمة للدولة العلية من حيث هي حكومة الدستور القائم على أساس العدل والمساواة ولعنصري الأمة العثمانية الكبيرين »[2] .

وإثر زيارات ومقابلات عديدة لأعضاء الحكومة العثمانية وأركان جمعية « الاتحاد والترقي » وشيخ الإسلام في الآستانة ، تكللت جهوده بالموافقة على اقتراحاته ، وصدر الأمر العالي بإنشاء « جمعية العلم والإرشاد » على أن يكون لها دار باسمها « يتربّى ويتعلّم في هذه المدرسة طائفة من الطلاب على نفقة المدرسة ، فهي تنفق عليهم ، لا يكلفون طعاماً ولا شراباً ولا لباساً ولا كتاباً »[3] .

---

(١) المنار ج ١٢ (١٩٠٩) ص ٩٥٦ ؛ و ج ١٣ (١٩١٠) ص ١٤٥٠ .
(٢) المنار ج ١٢ (١٩٠٩) ص ٩٥٦ .
(٣) المنار ج ١٣ (١٩١٠) ص ١٤٨ - ١٤٩ .

عارض الشيخ محمد رشيد رضا فكرة وضع المدرسة تحت إشراف شيخ الإسلام ، وأبى أن تكون رسمية أو شبه رسمية ، وعاد إلى مصر وكله رجاء أن يعدّل هذا القرار وأن يؤخذ اعتراضه بعين الاعتبار[1] .

ولم يدرك عدم صدق وعود الآستانة إلّا بعد عودته من رحلته الى الهند . فألّف عندئذ « جمعية الدعوة والإرشاد » في مصر ، وأسّس لها مدرسة باسم « دار الدعوة والإرشاد » ، وكان افتتاح أبوابها في ١٢ من ربيع الأول عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٢)[2] ، تيمناً بعيد المولد النبوي الكريم .

كان نص النظام الأساسي لجمعية الدعوة والإرشاد في مصر هو نفس النظام الأساسي الذي وُضع لجمعية العلم والإرشاد في الآستانة ، وهو الآيتان ١٠٣ و ١٠٤ من سورة آل عمران : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »[3].

عمل الشيخ محمد رشيد رضا وكيلا لجماعة الدعوة والإرشاد، وناظراً للمدرسة « بل كان عقلها المفكر ، وروحها المدبر »[4] . ويصف السيد عبد السميع البطل ، أحد طلاب مدرسة الدعوة والإرشاد ، عمل صاحب الترجمة في المدرسة بقوله : « ولعلكم تحبون أن تعرفوا عمل السيد في المدرسة ، ولقد كان فيها معقد الأمل ، وقطب الرحى ، والقبلة التي تولي الوجوه شطرها ، كان لدرسه أعظم الأثر في إصلاح النفوس ، وتثقيف الألسن ، كان يدّرس

---

(١) المنار ج ١٣ (١٩١٠) ص ٤٦٥ : و ص ٧٥٣ .
(٢) المنار ج ١٥ (١٩١٢) ص ٩ - ١٥ .
(٣) المنار ج ١٣ (١٩١٠) ص ٤٦٦ : و ج ١٤ (١٩١١) ص ١١٦ .
(٤) فقيد الإسلام السيد محمد رشيد رضا ومدرسة دار الدعوة والإرشاد . عبد السميع البطل . المنار ج ٣٥ عدد ٣ (اذار ١٩٣٦) ص ١٩٦ .

التفسير ، فتتجلى روح الإلهام الصادق والبصيرة النيّرة ، ويدرّس الحديث والتوحيد والكلام وحكم التشريع وتعلّم الانشاء ، ويمرن على الخطابة الارتجالية ، ويبصرنا بالأساليب الصحيحة وما يهجنها من دخيل أو سوقي أو مبذول ، أو وضع للمفردات في غير موضعها ، وقرأ قدراً من البلاغة ، وكنا نطالع أمامه في مقالات **العروة الوثقى** »[1].

مضى على إنشاء مدرسة دار الدعوة والارشاد ثلاث سنوات إلا قليلاً ، ثم اشتعلت نار الحرب العالمية الكبرى الأولى وأوقفت المساعدات التي كانت تأتيها من الحكومة المصرية ، عندئذ اضطرت أن تكتفي بمن فيها من الطلبة وأغلقت أبوابها نهائياً عام ١٩١٦ .

الوحدة الاسلامية :

كان صاحب الترجمة ، قبل وقوع الانقلاب العثماني وخلع السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٩ ، يدعو الى توحيد العقائد والتعاليم الأدبية والأحكام القضائية والمدنية واللغة ، بواسطة تأليف جمعية اسلامية تحقق الاصلاح المنشود والوحدة الكبرى – الجامعة الاسلامية – التي دعا اليها السيد جمال الدين الافغاني وسعى لتحقيقها عن طريق تنبيه حكام الحكومات المسلمة المستقلة الى الاتحاد[2] .

ان أهم أركان هذا الاصلاح الاسلامي هو « جمع المسلمين على عقيدة واحدة وأصول أدبية واحدة وقانون شرعي واحد ، لا يحكم عليهم غيره في نوع من أنواع الأحكام ، ولغة واحدة . ويتوقف هذا الإصلاح على تأليف جمعية اسلامية تحت حماية الخليفة يكون لها شُعَبٌ في كل قطر اسلامي ، وتكون عظمى شُعبها في مكة المكرمة التي يؤمّها المسلمون في جميع أقطار الأرض ، ويتآخون في مواقفها ومعاهدها المقدسة ، ويكون

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

(٢) المنار ج ٢ (١٨٩٩) ص ٣٣٧ .

أهمّ اجتماعات هذه الشعبة في موسم الحج الشريف »[1] . وحدد لهذه الجمعية أصول وظائفها وأعمالها ونتائجها بما يلي : « أما الأصول فهي توحيد العقائد والتعاليم الأدبية والتهذيبية والأحكام القضائية والمدنيـــة واللغة ، وأما الأعمال فأهمها تلافي البـدع والتعاليم الفاسدة وإصلاح الخطابة والدعوة الى الدين ، وأما نتائجها فأهمها اتحاد الحكومات الاسلامية »[2] . ويعزو تخلف المسلمين الى انحراف المسلمين عن دينهم ، فطبيعة الدين نفسه لا تحتم هذا التأخر بل الذي يحتم التخلف والتأخر هو الانحراف عن الشرائع الدينية ، يقول : ان الكتّاب المسلمين « يوافقون كتّاب أوروبا على قولهم ان للدين أقوى الأثر في هذا التأخر ولكنهم يخالفونهم في وجهه ، فأولئك يزعمون ان طبيعة الدين تقتضي هـــذا ، ونحن نوقن ان طبيعته تقتضي التقدم ، وان التأخر ما جاء إلا من الانحراف عن سننه ، ولبسه كما يلبس الفرو مقلوباً ، كما قال الإمام علي كرّم الله وجهه »[3] . كان صاحب المنار يدعو المسلمين الى الوحدة الصحيحة ، وأن يجعلوا إمامهم الأعظم القرآن الكريم ، كما كان يؤكد بأن الأمة الإسلاميـة « بالدين وجدت وتكوّنت ، وبالدين سادت وعزّت »[4] . ونبّه المسلمين بأنه لن يرجع اليهم مجدهم إلا بالدين .

وافقت مجلة « المنار » جريدة « العروة الوثقى » في دعوتها الى إماتة البدع وإحياء السنن وإرشاد الملوك والرؤساء « لاسيما المختلفين في المذاهب ، كأهل السنة والشيعة ، الى الاتحاد والاتفاق ، وأن لا يجعلوا الخلاف الفرعي في الدين من أسباب التفرق والانقسام الذي يقضي على الجميع »[5] . ان نداءه الاصلاحي كان موجهاً الى الحكومات الاسلامية ، وذلك لأن الإصلاح « إذا بدأ في الأمة دون الحكومة فإنما يتعدى أثره للحكومة بعد زمن

---

(١) المنار ج ١ (١٨٩٨) ص ٣٠٥ .
(٢) المنار ج ٢ (١٨٩٩) ص ٣٤٥ .
(٣) المنار ج ٣ (١٩٠٠) ص ٣٤٤ .
(٤) المنار ج ٢ (١٨٩٩) ص ٤٣٦ .
(٥) المنار ج ٢ (١٨٩٩) ص ٣٣٧ - ٣٣٨ .

طويل ، وإذا بدأ في الحكومة أوّلاً يظهر أمره في الأمة في وقت قريب »[1] .

لا شك أنّ الغاية التي كان ينشدها الشيخ محمد رشيد رضا من جميع كتاباته وجميع مواقفه هي الوحدة الاسلامية ، حتى لو كانت من قبل بريطانيا على شرط أن تعتنق الاسلام ، حيث يقول : « بل لو ان دولة حكيمة كانكلترا اعتنقت الاسلام وأقامت شريعته لتسنى لها احتلال باقي الشرق وأفريقيا »[2] . وكان يؤمن ، قبل وقوع الحرب العالمية الأولى ، بأنه ليس في المسلمين من ينازع الأتراك العثمانيين خلافة المسلمين ، لا بل انه كان يشجب كل محاولة لإشراب الأفهام وجوب نزع الخلافة من بني عثمان ، ويتّهم كل من يحاول ذلك بأنه « عامل على الإجهاز على السلطة الاسلامية ومحوها من لوح الوجود »[3] . ثم يحدد لنا الزمن الذي هجر فيه فكرة الخلافة العثمانية وإيمانه بالاستقلال ، فيقول : « قد كان أول سعي مشترك مع جماعة الاستقلال التام ... مذكرة كتابية لرئيس جمهورية الولايات المتحدة في إثر ظهوره في ميدان العمل وندائه بحرية الأمم وقّعها كاتب هذا والشيخ كامل القصاب واسكندر بك عمون والدكتور مشاقة والدكتور شهبندر وخالد بك الحكيم ، بيّنا فيها ان البلاد السورية وسائر البلاد العربية لا ترغب إلا في الاستقلال ، ولا تقبل غيره باختيارها ، وأنها إذا استُفتيتْ في ذلك وكانت حرة في الجواب فان سوادها الأعظم يصدّق ما نقوله عنها ، إذ نحن من أعلم أهل البلاد بحال أمتهم »[4] . ويخبرنا بأن الاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده « هو الذي أرجع بعض المستشرقين عن السعي لإنشاء دولة عربية ، لاعتقاده أنّ التفريق بين الترك والعرب يُضعف الفريقين ويسهل على الدول الطامعة محو الدولة الاسلامية من الارض »[5].

---

(١) المنار ج ٢ (١٨٩٩) ص ٥٣٠ .
(٢) المنار ج ٢ (١٨٩٩) ص ٣٢٤ .
(٣) المنار ج ١ (١٨٩٨) ص ٢٥٧ .
(٤) المنار ج ٢٢ (١٩٢١) ص ٤٦٠ .
(٥) المنار ج ١٢ (١٩٠٩) ص ١٠ .

قد يجد الباحث تناقضاً بيّناً في مواقف الشيخ محمد رشيد رضا السياسية ، فقد رأينا أنه عمل ضد السلطان عبد الحميد ، وأسهم في جمعية الاتحاد والترقي ثم انقلب على هذه الجمعيّة . وبعد ذلك اشتغل مع الشريف حسين عاهل الحجاز بحرارة ، ثم انقلب عليه . وانصرف الى آل سعود وظل وفيّاً لهم حتى مماته .

ولكننا نراه دائماً ، في مختلف أطواره السياسية المتقلبة ، راسخ الايمان بجدارة الدين الاسلامي للتقدم واستنهاض الهمم واستعادة الأمجاد الغابرة ، كما نراه في الفقرة التالية من مقالة عنوانها « أوروبا والاصلاح الاسلامي » : « إن الدين الاسلامي دين سلطة وسياسة لا دين تعبد وتحنث فقط ، وأصوله أن يسعى أربابه بأن تكون لهم السلطة على العالم كله لا على المسلمين وحدهم كما يظن البعض . ولكن هذا الأمر من وظائف الخلفاء لا من وظائف العامة ، فترشدها إليه الجرائد والخطباء وتؤلف لأجله الجمعيات . وإننا نعتقد أنّ الله تعالى ما كلفنا بنشر ديننا في جميع العالم ورفع لواء سلطتنا على رؤوس جميع الشعوب لأجل الأبّهة والفخفخة وتمتع الملوك والأمراء بالسلطة المطلقة واستعباد الناس وإذلالهم ، وإنما أمرنا الله باستعمار الأرض وإصلاح الناس ، ولذلك ذكر في أول الآيات التي نزلت في الاذن بالقتال ، هذا المقصد الشريف »[1] . فقال عزّ من قائل : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وأنّ اللهَ على نَصْرهم لقدير ، الذين أُخْرِجوا من ديارهم بغير حقّ إلا أنْ يقولوا ربّنا الله ، ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعض لهُدمت صوامع وبيَعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكر فيها اسمُ الله كثيراً ، ولينصرنّ الله من ينصره ، ان الله لقوي عزيز ، الذين إنْ مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور »[2] .

---

(١) المنار ج ٣ (١٩٠٠) ص ٢٤٢ – ٢٤٣ .

(٢) سورة الحج رقم ٢٢ الآية ٣٩ – ٤١ .

وتوفي الشيخ محمد رشيد رضا فجأة في القاهرة في ٢٣ جمادى الأولى ١٣٠٥ هـ الموافق ٢٣ آب ١٩٣٥ ودفن هناك .

فتاوى المنـــار :

بدأ الشيخ رضا بهذه الفتاوى في مجلته المنار من المجلد السادس عام ١٩٠٣ ، في العدد ١٧ الصادر في ٢٠ تشرين الثاني ، تحت عنوان : « باب السؤآل والفتوى » . وفي المجلد السابع (١٩٠٤) ، بدأ يذكر في رأس هذا الباب ما يلي:

« فتحنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسع الناس عامة . ونشترط على السائل أن يبيّن لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) ، وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف إن شاء ... »

وفي العدد ١٤ من المجلد السابع أطلق على هذا الباب اسم : فتاوى المنار .

ويبدو من الفتاوى المذكورة أنّ الشيخ محمد رشيد كانت غايته توضيح الأحكام الشرعية في أمور كثيرة يحتاج إليها المسلمون في حياتهم اليومية . من هذه الأمور ما هو ديني بحت يتعلق بالعبادات، ومنها ما هو متعلق بالمعاملات، وكثير من هذه المعاملات مما أوجده هذا العصر ، نتيجة لاحتكاك المسلمين بالغرب ، وتقليدهم إيّاه في كثير من الأشيـــاء ، أو نتيجة للأمور الحضارية المستحدثة التي دخلت الى الشرق. فمن هذه الناحية تكون الفتاوى مرآة تعكس حاجات المسلمين العصرية الى فهم أمور كثيرة من دينهم لم يضع لهـــا العلماء الأقدمون حلولاً ، لأنها لم تكن واقعةً في الماضي .

وقد اتبع الشيخ رضـــا في هذه الفتاوى نهجاً واضحاً : هو الاعتماد على القرآن الكريم والحديث الشريف والسنة النبوية قبل كل شيء . وإرجـــاع الأمور بعد ذلك الى العقل . فقد كان الشيخ يرى أن الإسلام دين يوافق العقل

في جميع أموره . وقد أراد بنهجه هذا أن يدل على مرونة الإسلام وموافقة أحكامه لكل عصر . وكان يراعي في الاجابة على المسائل المدنية والوقائع المستحدثة التي لم تكن في العصر الأول للاسلام : نص الشارع وحكمة التشريع ، والقواعد العامة ولاسيما القطعي منها كاليُسْر ، ودفع الحرج ، والعنت ، ونفي الضرر والضرار ، وجلب المصالح ، ورفع المفاسد[1] .

ونلاحظ أن الأسئلة كانت ترد على الشيخ من جميع الأقطار الاسلامية تقريباً. حتى من مسلمي روسيا يومئذ . وظل الشيخ متابعاً فتاواه حتى وفاته ، عام ١٩٣٥ م ، حتى قارب عددها الالف .

ورغم مضيّ أكثر من نصف قرن على صدور هذه الفتاوى ، فإن كثيراً من المسلمين اليوم ما يزالون يسألون عن المشكلات نفسها التي سُئل عنها الشيخ في أيامه . لكن « المنار » غير متوفرة عند الناس جميعاً ، لذلك لم يتح لهم الاطلاع على الفتاوى فيها . ومن هنـــا كانت الحاجة الملحة الى جمع هذه الفتاوى في كتاب واحد .

لذلك عمدنا الى استخراجها في كتاب واحد . ورقمناها بأرقام متتابعة . وحافظنا على ترتيبها التاريخي ، وصححنا الكثير مما كان فيها من أخطاء مطبعية ، وعلّقنا عليها تعليقات خفيفة ، وستكون في خمسة مجلدات كبار ، مذيّلة بفهرس عام للموضوعات يسهّل الرجوع الى كنوزها والانتفاع بما فيها .

بيروت ، مارس ١٩٧٠ م

المحرّم ١٣٩٠ هـ

---

(١) المنار ج ٢٢ (١٩٢٠) ص ٧٤٨ .